مصر بين التاريخ والسرد: دراسة في روايات إبراهيم عبد المجيد

محمد شفيع الله مؤمن*

ملخص البحث

تتخذ الرواية العربية من التاريخ مجالًا خصبًا لإعادة بناء الذاكرة الجماعية, إذ يتحول الماضي فيها من سجل للوقائع إلى مادة سردية تتفاعل مع قضايا الحاضر. وتعد روايات إبراهيم عبد المجيد نموذجًا بارزًا لهذا التفاعل بين التاريخ والسياسة والمجتمع؛ فهي تستحضر مراحل مختلفة من التاريخ المصري لتقديم رؤية فنية إلى هوية المجتمع وتحولاته.

وتسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن كيفية تمثيل التاريخ المصري في البناء الروائي عند إبراهيم عبد المجيد, ودوره في تشكيل صورة الهوية السياسية والاجتماعية. فالسرد عنده يصوغ مصر بوصفها فضاء تاريخيًا متحولًا, تتداخل فيه الذاكرة الفردية بالذاكرة الجماعية, ويحضر الوطن مثقلًا بتحولات سياسية وثقافية واجتماعية عميقة.

وتظهر مصر في هذه الروايات بوصفها هوية قلقة تعيش بين الحنين إلى الماضي والإحساس بالاغتراب في الحاضر, بما يعكس أزمة الذات المصرية في علاقتها بتاريخها وتحولات مجتمعها. وليست مصر مجرد مكان تجري فيه الأحداث, بل كيان تاريخي تتراكم فيه طبقات الذاكرة والتحول, ويعاد بناؤه من خلال وعي الشخصيات التي تعيش آثار التاريخ في تفاصيل حياتها اليومية.

---

* الباحث في قسم اللغة العربية وآدابها, جامعة عالية, كولكاتا- الهند.

مقدمة:

تمثل مصر في الرواية العربية فضاءً مركزيًا لتقاطع التاريخ بالخيال والواقع؛ إذ لا يكتفي السرد بتسجيل الوقائع, بل يعيد تشكيلها من منظور فني يكشف أبعادها الإنسانية والاجتماعية والسياسية. ومن بين الروائيين الذين اشتغلوا بعمق على صورة مصر وتحولاتها يأتي إبراهيم عبد المجيد [١] بوصفه أحد أبرز الأصوات السردية التي جعلت من المكان والتاريخ مادة روائية حية, تتداخل فيها الذاكرة الفردية بالذاكرة الجماعية.

تسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن صورة مصر بين التاريخ والسرد في روايات إبراهيم عبد المجيد, من خلال تتبع الكيفية التي يستثمر بها الأحداث التاريخية والتحولات الاجتماعية في بناء عالمه الروائي. فالرواية عنده لا تقدم التاريخ بوصفه مادة جامدة, بل تعيد إنتاجه داخل خطاب فني يقوم على التخييل والتعدد الصوتي, بما يسمح بقراءة الماضي في ضوء الحاضر, واستشراف دلالاته المستقبلية. ومن هنا تنطلق هذه الدراسة من فرضية مفادها أن السرد الروائي لدى إبراهيم عبد المجيد يشكل مجالا لتأويل التاريخ وإعادة صياغته, بحيث تتجلى مصر كخلفية للأحداث كشخصية فاعلة تشارك في تشكيل المصائر الفردية والجماعية. وعليه, تحاول هذه الدراسة إبراز ملامح هذه الصورة السردية, وتحليل علاقتها بالتحولات التاريخية والسياسية, للكشف عن رؤية الكاتب لمصر بين الواقع والمتخيل. "ثلاثية الإسكندرية: "لا أحد ينام في الإسكندرية"، "طيور العنبر"،

[١] إبراهيم عبد المجيد (مواليد ٢ ديسمبر ١٩٤٦)، هو كاتب وروائي وقاص مصري. من أشهر أعماله "ثلاثية الإسكندرية".

"الإسكندرية في غيمة" و رواية "هنا القاهرة" لإبراهيم عبد المجيد يلفت انتباهنا إلى حقيقة مُفادها أن المجتمع المصري يتكون من أعراق وثقافات وعادات، وجاليات مختلطة تعيش من غير انقطاع منذ تاريخ بعيد، وقد أسهمت جميعُها في بناء الأمة العظيمة.

تعتمد هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، مع الإفادة من المنهج التاريخي في ربط النص الروائي بالسياق التاريخي، ومن المنهج السردي في تحليل آليات الحكي وبناء الزمن والشخصيات.

التاريخ والمجتمع المصر ي:

منذ حملة إسكندر العظيم كانت مصر تؤوي العديد من المستعمرات اليونانية الراسخة.[٢] لقد كان الوجود اليوناني في مصر ثابتا لعدة قرون. وبدأ استقرار الجالية اليهودية في الإسكندرية بعد أن استولى نبوخذ نصر الثاني حوالي ٦٣٤-٥٦٢ قبل الميلاد، وأصبحت الإسكندرية مركزا للثقافة اليونانية وساهمت في إضفاء الهيلينية على بقية البلاد في العصر البطلمي (٣٢٣-٣٠ قبل الميلاد).[٣] وفي العصر الروماني كان مجموع السكان إلى جانب المصريين واليونانيين، يتكون من المقدونيين والفينيقيين واليهود والرومان والسريان والفرس والعرب[٤]. حتى فتحت مصر على يد المسلمين من عام ٦٤١م حتى عام ٦٤٦م، منذ ذلك الزمن

[٢] The Cambridge History of Egypt, volume one (640-1517), edited by Carl F. Petry. Cambridge Histories Online © Cambridge University Press, 2008. Page 01.
[٣] Peter Green: Alexander to Actium: The Historical Evolution of the Hellenistic Age, E. R. Bevan: A History of Egypt under the Ptolemaic Dynasty, The Cambridge Ancient History, Vol. VII.
[٤] . Victor Tcherikover: Hellenistic Civilization and the Jews,

بدأت تنتشر الثقافة الاسلامية العربية ثابتة من أرجاء مصر كلها, تثبت بالهوية الاسلامية.[٥]

إن أبرز أعمال إبراهيم عبد المجيد غالبا ما تستحضر ذاكرة المدن, وتلف بين الفرد والتاريخ, بين تفاصيل الحياة اليومية واللحظات الكبرى في التاريخ المصري, مما يجعل الهوية التاريخية في رواياته ليست مجرد إطار زمن ماضي بل نسيج من التذكر والتشكيل والحوار بين الماضي والحاضر. و تعد ثلاثية الإسكندرية ومعها رواية "هنا القاهرة" لإبراهيم عبد المجيد مشروعا روائيا ضخما لا يكتفي بسرد الحكايات, بل يعيد بناء الهوية التاريخية المصرية عبر تحولات القرن العشرين. يركز إبراهيم عبد المجيد على مفهوم روح الزمان أي التاريخ, وكيف تتشكل هوية المصريين من خلال التعددية, الصراعات السياسية, التحولات الاجتماعية و سجل التاريخ.

في هذا السياق اخترنا أربع روايات لإبراهيم عبد المجيد لمناقشتها: لا أحد ينام في الإسكندرية – طيور العنبر – الإسكندرية في غيمة – هنا القاهرة. و سوف نناقش أن هذه الروايات كيف تمثل فيها التاريخ و السرد.

لا أحد ينام في الإسكندرية:

[٥] ابن عبد الحكم (ت ٢٥٧هـ) كتاب: فتوح مصر والمغرب، البلاذري (ت ٢٧٩هـ) كتاب: فتوح البلدان، المقريزي (ت ٨٤٥هـ) كتاب: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (الخطط المقريزية)، سترابون (Strabo) كتاب: الجغرافيا: الإسكندرية مدينة متوسطية متعددة الثقافات، Hugh Kennedy: The Great Arab Conquests

الرواية في زمن الحرب العالمية الكبرى الثانية ,كما تتجلى هوية الإنسان والمجتمع حتى في زمن الحرب, التي أصابت الفرد و الجماعة تحت ضغط العنف الشامل مثلت السياسة الدولية, والتهديد الوجودي. الإنسان بين الخوف و الرجاء و البقاء. تظهر فيها العلاقة بين الفرد والمحيط التاريخي الاجتماعي. فالأحداث تدور حول ذكريات وشخصيات تربط بين حكايات شخصية وحياة المجتمع في الإسكندرية. فالرواية هنا تتشكّل من خلال انصهار الفرد في نسيج الجماعة, ومن أثر التاريخ في تكوين الذات. والتاريخ هنا ليس حدثًا كامنًا أو ماضيًا منقطعًا, بل هو حاضرٌ في الحواس والعلاقات والحنين.

يمثل عامود السواري في الرواية رمزا بالغ الدلالة على طبيعة الوعي التاريخي المركب لدى أهل المدينة, وعلى علاقتهم المتسامحة مع الماضي, حتى حين يكون هذا الماضي مثقلا بالقمع والعنف. فإقامة العمود تخليدا للإمبراطور الروماني دقلديانوس, المعروف تاريخيا باضطهاده الشديد للمصريين والمسيحيين على السواء, تكشف مفارقة لافتة: إذ يحتفي السكندريون بحاكم كان سببا في آلامهم, لا بدافع النسيان الساذج, بل لأن المدينة اعتادت أن تعيد تأويل التاريخ لصالح الاستمرار والحياة.[٦]

الصدمة في الحرب العلمية الثانية الكارثة:

[٦] إبراهيم عبد المجيد: لا أحد ينام في الإسكندرية، ص ٨٨

في رواية "لا أحد ينام في الإسكندرية" تشكل الحرب العالمية الثانية صدمة جماعية أعادت تشكيل هوية المدينة وسكانها, حيث انتقل الأفراد من وعي يومي مستقر إلى وعي مأزوم قائم على الخوف والترقب. وقد صور الكاتب الحرب لا باعتبارها حدثا عسكريا بين مدن مختلفة, بل باعتبارها كارثة وجودية اخترقت تفاصيل الحياة, فأنتجت "هوية الصدمة" تتسم بالهشاشة والانقسام بين التمسك بالحياة والإحساس الدائم بالفقد والتهديد. إذ يرصد الكاتب تفاصيل الحياة اليومية في مدينة الإسكندرية منذ اندلاع الحرب, كاشفا عن تحول المدينة إلى فضاء قلق, تتداخل فيه مشاهد القصف والخوف مع الفقر, والنزوح, وتفكك العلاقات الاجتماعية, وصولا إلى الخراب المادي والإنساني الذي خلفته الحرب.

الإسكندرية في الرواية تعيش بالخبر في الصحف كواقع: غارات جوية, ظلام ليلي (إطفاء الأنوار), خوف دائم, نزوح وفقدان الأحبة. تظهر الإسكندرية بوصفها ضحيةً تاريخيةً كونية؛ فقد كانت مدينةً مفتوحةً على العالم, لكنّها مع اندلاع الحرب تحوّلت إلى مسرحٍ لصراعٍ عالميّ بين الإنجليز والألمان والروس والإيطاليين, بينما يدفع سكّانها ثمن نيران الحرب. وهكذا تبدو هويتها في زمن الحرب هويةَ مدينةٍ بلا سيادة, معلّقةٍ بين قوى أكبر منها.

الحرب تكشف في هذه الرواية هشاشة العلاقات الإنسانية تحت الخوف. لكنها تظهر أيضا التضامن, الحب, الصداقة بين الشخصية مجد الدين – دميان, زهرة – ست مريم و أم جميدو, والتعايش بين مسلمين ومسيحيين ويهود وأجانب. الحرب تهدم الأخلاق عند البعض, لكنها تبرز إنسانية عميقة عند آخرين. الحرب بوصفها ذاكرة جماعية لا تنتهي بانتهاء القصف, تظل آثارها في الذاكرة, في

النفوس، في نظرة الناس للعالم. هي لحظة هدم تاريخي وبداية تشكل هوية جديدة مضطربة. تنتهي علاقة دميان بمجد الدين نهاية مأساوية، إذ يُقتل دميان في إحدى انفجارات العلمين، فيتفرق الصديقان مع نهاية الحرب.[٧] و بعد موته أحس مجد الدين "لا أعرف كيف ستكون الاسكندرية دون دميان، ولا كيف ستكون عندي القدرة على العودة الى العمل دون أي يكون معي."[٨]

طيور العنبر:

الرواية "طيور العنبر" يُحيل العنوان ذاته إلى أن الإسكندرية تُقدم بوصف اعتبارها غيمة ذاكرة؛ ويعتمد السرد الروائي هنا على تفكيك الزمن وإعادة تركيبه وفق منطق الذاكرة، حيث تتجاور الأزمنة وتتداخل الحقب التاريخية في وعي الشخصيات. وبذلك تصبح الرواية تجربة ذهنية وجمالية في استعادة الإسكندرية التاريخية، لا كما وقعت أحداثها فحسب، بل كما عاشت في الوعي الجماعي وتحولت إلى أثر نفسي وثقافي.

اكتشفت هذه الرواية كثيرا من التحولات الاجتماعية والسياسية التاريخية مثل حرب العدوان الثلاثي (١٩٥٦)[٩] وما تلاه من تغيرات جذرية اي هوية تمصير هي رصد لحظة خروج الأجانب من الإسكندرية. في هذا السياق أن خروج الأجانب من الإسكندرية يمثل في الرواية بوصفه كفقدان لطبقات من الذاكرة المشتركة، ما يجعل الهوية الوطنية الناشئة هوية ملتبسة متحررة من السيطرة الكولونيالية،

[٧] إبراهيم عبد المجيد: لا أحد ينام في الإسكندرية، ص ٤١٨
[٨] إبراهيم عبد المجيد: لا أحد ينام في الإسكندرية، ص ٤٣١
[٩] العدوان الثلاثي أو حرب ١٩٥٦ كما تُعرف في مصر والدول العربية أو أزمة السويس أو حرب السويس كما تُعرف في الدول الغربية، هي حرب شنَّتها كل من بريطانيا وفرنسا وإسرائيل على مصر عام ١٩٥٦،

لكنها في الوقت ذاته أقل تنوعا وأكثر انغلاقا. وهنا ينجح السرد في تفكيك الخطاب القومي الأحادي، عبر إظهار أن بناء الهوية بعد الاستعمار عملية مركبة، تتداخل فيها مشاعر التحرر مع الحنين والخسارة. حتى انتهت حرب العدوان الثلاثي وانشغلت الاسكندرية بالخروج الجماعي للجالية الانجيليز والجالية الفرنسية واليهود.[١٠]

ونتيجة خروج الأجانب من الإسكندرية تقدم في الرواية: أن شخصية "عربي" يشاهد نتيجة الخروج من المدينة وهو يروح بين الحارة اليهودية كانت مظلمة والأبواب كلها تقريبا مغلقة عليها اقفال. قطط وكلاب نائمة في أركان المنزل. يدخل حارة اليهود وفي الحارة عدد قليل من المسلمين والمسيحيين يعدون على الأصابع. لعلهم لم يهجروها أيضا.[١١] راشيل التي سافرت إلى البرازيل سافرت مع أخيها حاييم وأبيها الخواجة إيزاك، اندهش العربي من المصادفة هذه.[١٢] الآن الشارع كله تقريبا سافر خارج مصر، حتى الطلاينة قد يتركون الاسكندرية. وكان اليونانيون أيضا يرحلون، أنهم أكثر من الطلاينة يمتلكون شركات كثيرة هنا. ترك اليونانيون الاسكندرية تخرب. نصف التجارة في أيديهم. ثم إنهم هم الذين بنوا المدينة.[١٣]

واتسمت سياسات جمال عبد الناصر (١٩٥٦-١٩٧٠) في مصر بنهج اشتراكي قومي يهدف إلى تحقيق العدالة الاجتماعية والاستقلال الوطني. وركزت هذه السياسات

[١٠]. إبراهيم عبد المجيد: طيور العنبر، ص ١٢١-١٢٤
[١١]. إبراهيم عبد المجيد: طيور العنبر، ص ١٢٩
[١٢]. إبراهيم عبد المجيد: طيور العنبر، ص ١٣١
[١٣]. إبراهيم عبد المجيد: طيور العنبر، ص ١٣٢

على الإصلاح الزراعي, وتأميم قناة السويس, وبناء السد العالي في أسوان.[١٤] ومن أهم سياسة عبد الناصر هو الوحدة بين مصر وسوريا. لقد لعب جمال عبد الناصر دورا محوريا وحاسما في قيام الوحدة بين مصر وسوريا التي أُعلنت رسميا في ٢٢ فبراير ١٩٥٨ تحت اسم الجمهورية العربية المتحدة. كما يذكر في الرواية أن "أقيمت الأفراح والراديو يبث أحاديث الانتصار منذ أكثر من عام. أخيرا الوحدة بين مصر وسوريا[١٥] قد أعلنت, لأجل ذلك صلى جمال عبد الناصر وشكري القوتلي, الرئيس السورى, معا في الجامع الأزهر.[١٦]

فهوية التمصير تعبر عن السياسة الجديدة في مصر, في حين تقوم الرواية بتمثيل انعكاساتها المختلفة, كاشفة عن نتائجها الاجتماعية الاقتصادية وسياسيتها, بما تحمله من أبعاد إيجابية وسلبية في آن واحد. في هذه القضية الدولة تشترى أسهم كثير من الشركات والبنوك الأجنبية. نتيجة "اليونانيون يرحلون من مصر, وهم أكثر من الطلاينة و يملكون شركات كثيرة. لو ترك اليونانيون الاسكندرية تخرب, لأن نصف التجارة في أيديهم".[١٧] وتبرز هوية الطبقة المتوسطة والفقيرة التي بدأت تتصدر المشهد السياسي والاجتماعي بعد ثورة ١٩٥٢. ثورة يوليو هي حركة عسكرية-سياسية قادها تنظيم الضباط الأحرار في ٢٣ يوليو ١٩٥٢, أنهت حكم الملكية بزعامة الملك فاروق, ومهدت لقيام الجمهورية المصرية, لكثرة الأسباب: الفساد السياسي, الاحتلال البريطاني, الهزيمة في حرب فلسطين ١٩٤٨,

[١٤]. جمال عبد الناصر – فلسفة الثورة (١٩٥٤)، رءوف عباس - الحركة العمالية في مصر ١٨٩٩–١٩٥٢، عبد الرحمن الرافعي – ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢،

[١٥]تم قيام الوحدة بين مصر وسوريا، تحت اسم "الجمهورية العربية المتحدة"، في ٢٢ فبراير ١٩٥٨، وانتهت بانفصال سوريا في ٢٨ سبتمبر ١٩٦١، بعد أن أعلنت الوحدة بتوقيع ميثاقها من قبل الرئيسين المصري جمال عبد الناصر والسوري شكري القوتلي، وشهدت فترة قصيرة من الاتحاد تحت قيادة عبد الناصر ثم انقلاب عسكري أنهى الوحدة.

[١٦]إبراهيم عبد المجيد: طيور العنبر، ص ١٤٩

[١٧]إبراهيم عبد المجيد: طيور العنبر، ص ١٣٣

الظلم الاجتماعي. وثورة يوليو ١٩٥٢ لم تكن مجرد انقلاب عسكري، بل تحول تاريخي شامل أنهى عصر الملكية، وفتح مرحلة جديدة من بناء الدولة الوطنية والهوية القومية في مصر.[١٨]

الإسكندرية في غيمة:

"الإسكندرية في غيمة" تعد من أكثر روايات إبراهيم عبد المجيد اشتباكا مع قلق الهوية وتحولات الوعي الديني-السياسي في مصر ما بعد السبعينيات. هي رواية تعد أيضا من أهم أعماله التي تواصل مشروعه السردي في تفكيك هوية الإسكندرية وتحولاتها التاريخية والاجتماعية. الإسكندرية هنا مدينة معلقة بين ماض كوزموبوليتاني وحاضر مثقل بالاغتراب. تقدم الرواية خلفية مكانية ككائن حي تتألم، تتغير وتفقد ذاكرتها من البحر، الشوارع، المقاهي، الأحياء القديمة تتحول إلى شواهد على التدهور والتحول.

في هذه الرواية تتجلّى سطوةُ سياساتِ أنور السادات، ويتمثّل تأثيرُها المباشر في المجتمع المصري كما تسرد الرواية. وقد حكم الرئيس المصري محمد أنور السادات مصر من عام ١٩٧٠ حتى اغتياله عام ١٩٨١، وتميّزت فترته بحرب أكتوبر ١٩٧٣ ضدّ قوّات الاحتلال في فلسطين، وتحقيق نصر جزئي واستعادة سيناء، وتوقيع اتفاقية كامب ديفيد للسلام مع إسرائيل عام ١٩٧٨ مما أكسبه جائزة نوبل للسلام.[١٩] والرواية تكشف أن في النصف الثاني من عام ١٩٧٥م، تحكي أخبار و سياسة الرئيس أنور السادات: أن أخبار الرئيس السادات تحتل العناوين الرئيسية

[١٨]. أنور عبد الملك – الجيش والسياسة في مصر (١٩٥٢–١٩٦٧)، جمال حمدان – شخصية مصر، عبد العظيم رمضان – ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢،
[١٩]. محمد حسنين هيكل: خريف الغضب: قصة بداية ونهاية عصر أنور السادات. طارق البشري: الحركة السياسية في مصر ١٩٤٥ ـ ١٩٥٢، صدر سنة ١٩٧٢، محمد عبد الغني الجمسي: المقالة الرئيسة: حرب أكتوبر.

للصحف. سافر إلى فرنسا فأعلنت فرنسا أن طائرات الميراج ستحلق قريبا في سماء مصر. من هناك سافر إلى نيويورك, فأعلن الرئيس الأمريكي جيرالد فورد عن تزويد مصر قريبا بالأسلحة الأمريكية.[٢٠]

يخطب الرئيس السادات في الأمم المتحدة, واقترح ضم منظمة التحرير الفلسطينية إلى مؤتمر جينيف المزمع انعقاده لبحث الأوضاع في الشرق الأوسط. كانت الأوضاع انفرادا بين مصر وإسرائيل في المباحثات, التي ترتب عليها حتى الآن الانسحاب الثاني, وإخلاء جنوب سيناء من الجيش الإسرائيلي, وعودة حقول البترول. كانت سوريا ومنظمة التحرير الفلسطينية والاتحاد السوفيتي غير راضين عن هذا الانفراد بالمباحثات, ولا عن التقارب الشديد بين السادات والغرب.[٢١]

تنتقل الرواية إلى السبعينيات, وهي فترة التحول الصادم التي تواجه صراع الهوية والمد الأصولي بين الشخصيات, وطبيعة صراع الهوية في الرواية تتحرك في زمن التحولات العنيفة التي عرفها المجتمع المصري منذ السبعينيات, حيث تراجعت الهوية السكندرية الكوزموبوليتانية, التعدد, التسامح والاختلاف.

وفي الرواية أن شخصية نادر, يارا, كاريمان, بشر زهران وحسن حافظ كلهم يقلدون أفكار الشيوعية و كلهم يواجهون الطلب من مباحث أمن الدولة وفي الأخير الاعتقال جميعا في ليلة رأس السنة, لذا كل الشخصية تفقد شبكة الأمان الاجتماعي التي كانت تمنحها المدينة من قبل. والشخصيات تعيش باغتراب داخل المكان إحساسا بأن المدينة تخلت عنهم. الشخصيات أمام هذا المد الأصولي

[٢٠] إبراهيم عبد المجيد: الإسكندرية في غيمة، ص ٧
[٢١] . إبراهيم عبد المجيد: الإسكندرية في غيمة، ص ٧

تقوم بالمقاومة وتحاول الدفاع عن الخلاف. الاختلاف الديني والثقافي, حرية الجسد, الذوق والفن, العيش المشترك دون وصاية أخلاقية, من هوية مفتوحة إلى هوية مسيجة. حيث الإنسان يعرف بعمله وعلاقاته لا بعقيدته الدينية. لكن تتحول الهوية إلى ملف أخلاقي. اعتقال اليساريين من قبل الحكومة,[٢٢] وظهور الجماعة الاسلامية الممتطرفة صراعها بين اليساريين مع بداية المد السلفي والإخواني.[٢٣] يصور إبراهيم عبد المجيد في "الإسكندرية في غيمة" صراع الهوية بوصفه جرحا داخليا يصيب الشخصية في وعيها قبل سلوكها, حيث لا يأتي المد الأصولي كقوة قمعية خارجية فقط, بل كخطاب يتسلل إلى الذات, فيفكك علاقتها بذاتها وبالجماعة الاسلامية وبأيدولوجيا أخرى, محولا الإسكندرية من فضاء للتعدد إلى غيمة ثقيلة من الشك والخوف والاغتراب. وقد ظهر في الأصل خلال عهد أنور السادات.

هنا القاهرة:

الرواية من فضاء الإسكندرية إلى العاصمة في أواخر السبعينيات. وخصوصا زمن انتفاضة يناير ١٩٧٧م[٢٤], وانتقال السرد من هامش الإسكندرية الهادئ نسبيا إلى مركز السلطة والضجيج والصراع.

تتجلى هذه الرواية السياسية اليسارية كما تكشف أن الشخصية صابر سعيد, سعيد صابر, عمر ابراهيم, كلهم يعملون في "الثقافة الجماهيرية", علي الكبير, سراج

[٢٢] إبراهيم عبد المجيد: الإسكندرية في غيمة، ص ١٢٧، ١٤٤، ٣٥٧
[٢٣] إبراهيم عبد المجيد: الإسكندرية في غيمة، ص ٩٤
[٢٤] انتفاضة يناير ١٩٧٧ (أو انتفاضة الخبز) هي احتجاجات شعبية عارمة اندلعت في مدن مصرية عدة يومي ١٨ و١٩ يناير ١٩٧٧، رفضاً لقرارات تقشفية رفع الدعم عن سلع أساسية. أجبرت الانتفاضة حكومة أنور السادات على إلغاء القرارات خلال ٤٨ ساعة بعد مواجهات عنيفة، حيث وصفها السادات بـ"انتفاضة الحرامية"، بينما تعتبر من أهم الأحداث الاجتماعية في مصر.

منير و عامر فضل عامر كل هؤلاء ينضمون مع الحزب الشيوعي المصري.[٢٥] الثقافة الجماهيرية كانت مؤسسة مرتبطة بمشروع الدولة لنشر الوعي (مسارح، مكتبات، محاضرات، فرق فنية). أنهم ينتمون إلى طبقة مثقفة شعبية، يؤمنون بدور الثقافة في تغيير المجتمع. قريبون من الناس.الفن، المسرح، الندوات. ودلالة الانضمام إلى الحزب الشيوعي المصري، انتماؤهم للحزب الشيوعي يرمز إلى البحث عن العدالة الاجتماعية بعد صدمات الاستعمار والحرب والفقر. لعبت التنظيمات الشيوعية المصرية دورا ملحوظا في الحركة النقابية والنشاط الطلابي والصحافة اليسارية منذ الأربعينيات، وساهمت في ربط النضال الطبقي بالنضال الوطني ضد الاستعمار. ومع تبني الدولة لسياسات التأميم والتخطيط المركزي بعد ١٩٦١.[٢٦] كما صور إبراهيم عبد المجيد الصراع بين اليساريين والإخوان والجماعات الاسلامية في الرواية بوصفه تجليا لأزمة هوية عاشها جيل كامل، حيث تتنازعهم رؤيتان متعارضتان: رؤية تؤمن بالخلاص الجماعي عبر السياسة، وأخرى تبحث عن الخلاص الفردي عبر الدين، وتغدو القاهرة مسرحا لهذا الانشطار الفكري والوجودي.

كما عرضت الرواية – "فالنظام قوي وأجهزته الأمنية تعرف كل شيئ . كما أن النظام الآن يزداد تحالفه كل يوم مع الإخوان المسلمين والجماعات الإسلامية التي صارت نشطة في الجامعات تهاجم اليساريين والناصريين. وتعمل على السيطرة على الشارع المصري من خلال المساجد التي ترتفع فيها صيحات غريبة

[٢٥] إبراهيم عبد المجيد: هنا القاهرة، ص ٣٠
[٢٦] . د. رفعت السعيد – تاريخ الحركة الشيوعية المصرية، شهدي عطية الشافعي – تطور الحركة الوطنية المصرية ١٨٨٢–١٩٥٦، محمود أمين العالم – معارك فكرية.

بالعودة إلى الإسلام بالحجاب واللحية, وتهاجم القوي الأخري من اليساريين الكفار! لقد ظهرت الشعارات عن الحجاب كفريضة إسلامية على كثير من جدران المدن خاصة في الأحياء الشعبية. ظهرت كتب رخيصة عن عذاب القبر ونعيمه, وعن يوم القيامة ونهاية العالم. الشيخ كشك صوته المسجل يملأ الجامع في شارع الملك بالهجوم على المثقفين والممثلين والمطربين والمطربات. سياسة السادات فتحت أبواب الجحيم على مصر.[٢٧]

كما عرض في الرواية "هنا القاهرة" أن في شهر ديسمبر ١٩٧٥م, مظاهرات من الشباب و الطلبة من جامعة عين شمس و جامعة القاهرة, في شارع الجلاء ضد سيد مرعي هو أقدم وزير زراعة بعد ثورة يوليو ورئيس مجلس الشعب وعبد العزيز حجازي رئيس مجلس الوزراء, ضد تحالف رأس المال.[٢٨] في الطريق بين الحشود سمعت حوارات جانبية بين الطلاب والطالبات تتحدث عن عمال حلوان المحتشدين في مظاهرة ضخمة بباب اللوق أمام محطة القطار. في ميدان التحرير ملأت بالمتظاهرين, في باب اللوق أحرقوا بعض الأوتوبيسات والمحلات بعد أن هاجمتهم قوات الأمن المركزي. مثل هذه الاحتجاجات حدثت في عام ١٩٧٢.[٢٩]

في "هنا القاهرة" تتجلى ثيمة الغربة داخل الوطن بوصفها نتيجة مباشرة لتحول المدينة وتحول القيم معا. فالأبطال لا يغتربون جغرافيا, بل يغتربون وهم في قلب القاهرة؛ إذ يشعرون أن المدينة التي جاؤوا إليها بالحلم الثوري أو الثقافي لم

[٢٧] ابراهيم عبد المجيد: هنا القاهرة، ص ١٢٦
[٢٨] ابراهيم عبد المجيد: هنا القاهرة، ص ٧٤.
[٢٩] ابراهيم عبد المجيد: هنا القاهرة، ص ٧٦.

تعد تمثلهم, ولم تعد تشبه صورتهم الأولى عنها. يشعر أبطال الرواية بأن مدينتهم لم تعد تشبههم, وكأن الحالة هى من الضبابية أصابت الهوية الوطنية المصرية. نتيجة صابر سعيد غادر مصر الى المملكة العربية السعودية, وسعيد صابر غادر مصر الى الولايات المتحدة.[٣٠]

الخاتمة

تبيّن من خلال قراءة لا أحد ينام في الإسكندرية وطيور العنبر والإسكندرية في غيمة وهنا القاهرة أن إبراهيم عبد المجيد يوظف التاريخ بوصفه عنصرًا بنيويًا في تشكيل عالمه الروائي. فالرواية عنده لا تعيد سرد الوقائع التاريخية في صورة أدبية فحسب, وإنما تنظر إلى أثر هذه الوقائع في الإنسان والمدينة والذاكرة.

كما يتضح أن الإسكندرية والقاهرة تتجاوزان وظيفة المكان التقليدية, لتتحولا إلى فضاءين يحملان آثار التحولات السياسية والاجتماعية والثقافية.

وتكشف الروايات عن تعدد مكونات المجتمع المصري, وعن التحول المستمر في مفهوم الهوية من مرحلة تاريخية إلى أخرى. وتظل الذاكرة الفردية متصلة بالذاكرة الجماعية, بحيث تظهر الحروب والثورات والسياسات والهجرات في أبسط تفاصيل حياة الشخصيات. ومن هنا ينجح السرد في إعادة قراءة التاريخ من الداخل؛ أي من خلال الإنسان الذي يعيش نتائجه, لا من خلال الوقائع المجردة وحدها.

[٣٠] ابراهيم عبد المجيد: هنا القاهرة، ص ٣٥٤

وبهذا تصبح روايات إبراهيم عبد المجيد مجالًا للتفاعل بين التاريخ والسرد والذاكرة والمكان، وتقدم صورة مركبة لمصر في القرن العشرين، حيث يمتزج الحنين بالفقد، والتعدد بالصراع، والحلم بالاغتراب.

المصادر والمراجع:

- إبراهيم عبد المجيد: الإسكندرية في غيمة، دار الشروق، القاهرة، ٢٠١٢
- إبراهيم عبد المجيد: طيور العنبر، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٠
- ابراهيم عبد المجيد: لا أحد ينام في الاسكندرية، دار نشر الجمل، القاهرة، ١٩٩٦
- ابراهيم عبد المجيد: هنا القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، مصر، ٢٠١٤
- ابراهيم عبد المجيد، ما وراء الكتابة، الدار المصرية اللبنانية.
- ابن عبد الحكم (ت ٢٥٧هـ) كتاب: فتوح مصر والمغرب،
- إسترابون (Strabo) كتاب: الجغرافيا: الإسكندرية مدينة متوسطية متعددة الثقافات،
- أنور عبد الملك – الجيش والسياسة في مصر (١٩٥٢–١٩٦٧)،
- البلاذري (ت ٢٧٩هـ) كتاب: فتوح البلدان،
- جمال حمدان – شخصية مصر، دار الهلال
- د. رفعت السعيد – تاريخ الحركة الشيوعية المصرية،
- شهدي عطية الشافعي – تطور الحركة الوطنية المصرية ١٨٨٢–١٩٥٦،
- طارق البشري: الحركة السياسية في مصر ١٩٤٥ - ١٩٥٢، صدر سنة ١٩٧٢،

- عبد العظيم رمضان – ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢،
- عبد العظيم رمضان: عبد الناصر وأزمة السويس، دار الشروق.
- محمد حسنين هيكل: الانفجار: حرب السويس ١٩٦٥
- محمد حسنين هيكل: خريف الغضب: قصة بداية ونهاية عصر أنور السادات.
- محمد حسنين هيكل: ملفات السويس. دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٤
- محمد عبد الغني الجمسي: المقالة الرئيسة: حرب أكتوبر.
- محمود أمين العالم – معارك فكرية.
- المقريزي (ت ٨٤٥هـ) كتاب: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (الخطط المقريزية)،
- Charles D. Smith, Palestine and the Arab-Israeli Conflict.
- E. R. Bevan: A History of Egypt under the Ptolemaic Dynasty,
- Hugh Kennedy: The Great Arab Conquests
- Peter Green: Alexander to Actium: The Historical Evolution of the Hellenistic Age,
- The Cambridge Ancient History, Vol. VII
- The Cambridge History of Egypt, volume one (640-1517), edited by Carl F. Petry. Cambridge Histories Online © Cambridge University Press, 2008.
- Victor Tcherikover: Hellenistic Civilization and the Jews,

..... ***** .....